الزجاجي .. ومعيار الإبدال اللغوي

في كتابه: الإبدال والمعاقبة والنظائر

للدكتور : فوزي يوسف عبده الهابط

الابدال اللغوى ـ وهو وضع حرف مكان غيره فى كلمة واحدة لايختلف معناها بذلك التبديل ـ يعد ظاهرة من الظواهر اللغوية العربية التى سلم بوجودها علماء العربية القدامى والمحدثون ·

وذهب بعضهم ـ وهو ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ـ الى أنها من سنن العرب فى كلامها ، حيث قال(١) : « من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض ، يقال : :مدحه ومدهه »

ثم أفادنا بأن هذا النوع كثير فى اللغة ومشهور ، وأنه من كثرته وشهرته : ألف فيه العلماء كتبا مستقلة (٢) ·

لكن بعضهم الآخر ـ وهو ابن جنى (ت ٣٩٢) والمعاصر لابن فارس ـ ضيق باب الابدال اللغوى ، وجعله مقصورا على الضرورة القصوى التى لاتجيز غيره ، وذلك حين قال ـ فى « باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » (٣) : « فمتى امكن أن يكون

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ـ لابن فارس : ص١٧٣ ط · المكتبة السلفية بمصر سنة ١٩١٠م ·

(٢) المرجع السابق ـ نفسه ·

(٣) الخصائص لابن جنى بتحقيق النجار : ٨٢/٢ نشر دار الهدى الطباعة بيروت ·

الحرفان جميعا أصلين (كل واحد منهما قائم برأسه) : لم يسغ العدول عن الحكم بذلك ، فان دل دال أو دعت ضرورة الى القول بابدال أحدهما من صاحبه : عمل بموجب الدلالة ، وصير الى مقتضى الصنعة » .

ثم ضرب أمثلة - مما عده رواة اللغة ابدالا - وذهب الى أنه ليس بابدال ، لأن الصوتين المبدلين من بعضهما « متساويان فى الاستعمال ، فلست بأن تجعل أحدهما أهلا لصاحبه أولى منك بحمله على ضده » (٣)

ثم قال (٣) : « ومن ذلك قولهم : هتنت السماء تهتن تهتانا ، وهتلت تهتل تهتالا ، وهى سحائب هتن وهتل .

قال امرؤ القيس :

فسحت دموعى فى الرداء كأنها كلى من شعيب ذات سح وتهتان

وقال العجاج :

عزز منه وهو معطى الاسهال ضرب السوارى متنه بالتهتال

وتلحظ معى أن ابن جنى قد استشهد ببيت لامرىء القيس الكندى (ت ٨٠ ق.هـ) فى وجه من وجوه الكلمة ، ثم استشهد ببيت للعجاج التميمى (ت نحو ٩٠هـ) فى وجه آخر من وجوه الكلمة ، ذاهبا الى أن الوجهين كليهما : أصل ، وليس أحدهما فرع عن الآخر .

ولكن : ألا يمكن أن يكون الفارق الزمنى بين عصرى الشاعرين ، والفارق الصوتى بين قبيلتيهما : كفيلا باحداث هذا الابدال ؟

علما بأن الكلمتين بمعنى واحد (٤) ثم ان صوتى اللام والنون : قريبان من بعضهما مخرجا - حيث أنهما ذلقيان - وقريبان من بعضهما فى الصفات ، فكل منهما صوت مجهور ،متوسط بين الشدة والرخاوة . منفتح ، مستفل ، ذلق .

---

(٣) الخصائص لابن جنى - بتحقيق النجار : ٢/٨٢

(٤) انظر : القاموس المحيط : هتل ، هتن .

وكل ذلك مرشح لابدال أحدهما من الآخر .

هل بيئة الابدال اللغوى واحدة ؟

وقد اختلف علماء اللغة القدامى حول بيئة الابدال اللغوى .

فبعضهم ـ وهو ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ـ **أجاز حدوث هذا** الابدال فى بيئة لغوية واحدة ، وذكر رواية لغوية تدل على صدق رأيه ، حيث قال : (٥)

« حضرنى أعرابيان من بنى كلاب ، فقال أحدهما : انفحه ، وقال الآخر : منفحه ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بنى كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان » .

ولكن هذه رواية فردية ، ويمكن تأويلها بتأويلات كثيرة ، ولذلك فانها ـ كما أعتقد ـ لاتصلح لتقعيد قاعدة لغوية مطردة ، وما أحسن ما قاله ابن جنى تفسيرا لمثل هذه الظاهرة حين توجد فى قبيلة واحدة . وخاصة ماذهب اليه من آنه : يجوز أن تكون احدى هاتين الكلمتين من لغة القبيلة ، والأخرى من خارجها ، وطال استعمالها فى القبيلة ،فلحقت ـ لطول المدة واتصال استعمالها ـ بلغة القبيلة ، وأصبحت جزءا من لغتها . (٦)

ولذلك فاننى أشايع الرأى الآخر ، الذى تبناه أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) والذى ذهب ـ فيه ـ الى اختلاف بيئات الابدال اللغوى فى الكلمة الواحدة : حيث قال (٧) : « ليس المراد بالابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف مكان حرف ، وانما هى لغات مختلفة لمعان متفقة ،

---

(٥) المزهر فى علوم اللغة ـ للسيوطى ـ بتحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين : ١/٤٧٥ ـ نشر عيسى البابى الحلبى .

(٦) الخصائص : ١/٣٧٢ .

(٧) المزهر : ١/٤٦٠ .

تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد ، حتى لايختلفان الا فى حرف واحد »

ثم ساق الدليل على صواب رأيه فقال (٧) : « والدليل على ذلك : أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك ابدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا ، كقولهم فى نحو : أن : عن »

ثم نفى اشتراك القبيلة الواحدة فى شىء من ذلك فقال (٧) : « انما يقول هذا قوم وذاك آخرون »

وهناك رواية أخرى تعضد هذا الرأى وتقويه ، وهى تلك التى ساقها ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ـ فى الجمهرة (٨) .. عن أبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥هـ) الذى قال : « قلت لأم الهيثم(٩) : كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ قالت : من حلك الغراب . قلت : أتقولينها : من حنك الغراب ؟ قالت : لا أقولها أبدا »

كيف كان التأليف فى الابدال اللغوى ؟

ساق رواة اللغة الأوائل ما وجدوه فى لغات القبائل العربية المختلفة من هذا القبيل ، وألفوا فيه تآليف كثيرة وعديدة .

وقد صنعوا ذلك دون تعليل لغوى ـ أو صوتى ـ لما وجدوه ، خلافا لما حدث من علماء آخرين ، كسيبويه (ت ١٨٠هـ) مثلا ، ذلك

---

(٧) المزهر ١/٤٦٠ .

(٨) جمهرة اللغة لابن دريد : ٢/١٨٥ ـ نشر دار صادر ببيروت .

(٩) هى عمة أبى حاتم ، وهى من بنى نمير بن عامر ـ جمهرة اللغة : ٤/٨٠٧ .

الذى أفرد لتعليل الابدال اللغوى ـ فى كتابه ـ بابا تحت عنوان : « باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذى لا يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه » (١٠)

وعلل ـ سيبويه فى هذا الباب ـ بعض مظاهر الابدال اللغوى ، فقال ـ فى مجال ابدال الصاد الساكنة زايا ـ اذا جاء بعدها دال (١١) : « وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها (أى الصاد الساكنة) زايا خالصة ، كما جعلوا الاطباق ذاهبا فى الادغام ، وذلك قولك فى التصدير : التزدير ، وفى الفصد : الفزد ، وفى أصدرت : أزدرت .

وانما دعاهم الى أن يقربوها ويبدلوها : أن يكون عملهم من جهة واحدة ، وليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد ، اذا لم يصلوا الى الادغام ، ولم يجسروا على ابدال الدال صادا ، لأنها ليست بزائدة كالتاء فى افتعل ، والبيان عربى » .

وقد نقل ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) فى مخصصه باب سيبويه هذا برمته (١٢) ، ثم أعقبه بذكر باب آخر على منواله ، هو « باب ماتقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات » وقال : (١٣)

تقلبها القاف اذا كانت بعدها فى كلمة واحدة ، وذلك : صقت وصبقت والصملق ، وذلك أنها (أى القاف) من أقصى اللسان ، فلم

---

(١٠) الكتاب لسيبويه ـ بتحقيق عبد السلام هارون : ٤/٤٧٧ وما بعدها ـ نشر الهيئة المصرية للكتاب .

(١١) المرجع السابق : ص ٤٧٨ .

(١٢) انظر : المخصص لابن سيده : ١٣/٢٧١ ط : الأميرية ببولاق بمصر ١٣٢٠ هـ .

(١٣) المرجع السابق : ص٢٧٢ .

تنحدر انحدار الكاف الى الفم ، وتصعدت الى ما فوقها من الحنك الأعلى .. .. فلما كانت كذلك : أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف - ليكون العمل من وجه واحد - وهى : الصاد ، لأن الصاد تصعد الى الحنك الأعلى - للاطباق - فشبهوا هذا بابدالهم الطاء فى : مصطبر والدال فى : مزدجر .. .. .. الخ .

وقد قال قبل ذلك (١٤) : ان « الطاء تبدل من التاء فى افتعل من الصبر ، تقول : اصطبر ، لأنها (أى الطاء) حرف وسط بين الحرفين (التاء والصاد) اذ كانت تؤاخى التاء بالمخرج ، والصاد بالاستعلاء والاطباق » .

تاريخ التأليف فى الابدال اللغوى .. قديما .

لعل أول من خطر ببالهم أن يلتقطوا هذه النظائر من أفواه العرب هم : « اليزيدى (ت ٢٠٢هـ) واللحيانى (ق ٢هـ) والشيبانى (ت ٢٠٦هـ) وقطرب (ت ٢٠٦هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١١هـ) وأبو زيد الأنصارى (ت ٢١٦هـ) وابن الأعرابى (ت ٢٣١هـ) والكسائى (ت ٢٣١هـ) ، وغيرهم من رواة البوادى . أو الآخذين عن الأعراب الوافدين الى الأمصار » (١٥)

كما أن « أول من خطر بباله أن يسمى هذه الظاهرة اللغوية : ابدالا ، هو : عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٦هـ) ، وشاركه فى هذه التسمية : يعقوب ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) فقد سمى كتابه :

---

(١٤) المرجع السابق : ص ٢٦٨ .

(١٥) كتاب الابدال لأبى الطيب اللغوى - بتحقيق : عز الدين التنوخى - نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٠م - مقدمة المحقق : ص ٦ .

القلب والابدال (١٦) ، ثم جاء عبد الرحمن الزجاجى (ت ٣٤٠هـ) الذى ألف كتابا باسماه : الابدال والمعاقبة والنظائر (١٧) ، كما أن شيخنا أبا الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) سمى كتاب الحروف المتعاقبة التى جمعها : كتاب الابدال » .

وهؤلاء الأربع : هم الأوائل فى تأليف الكتب التى تدور حول ظاهرة الابدال ، ولكن كتاب الأصمعى لم يصل الينا ، أما كتب الثلاثة الآخرين : فانها قد كافحت عوامل الفناء حتى وصلتنا . ثم حققت وأخرجت الى حيز النور حديثا ، وان كان كتاب الزجاجى يعتبر نادر الوجود أو فى حكم المعدوم .

مناهج الكتب الثلاث فى التأليف .

أولا : منهج كتاب الابدال لابن السكيت .

هذا الكتاب يعد من أقدم الكتب التى وصلتنا - مؤلفه - فى ظاهرة الابدال اللغوى ، وقد « عقد لها فى هذا الكتاب ثلاثين بابا ، تبدأ بباب

---

(١٦) نشره المستشرق : هفنر فى كتاب : الكنز اللغوى ، ببيروت سنة ١٩٣٦م ، ثم أعاد نشره مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٨ ، بتحقيق د. حسين محمد شرف ، ومراجعة : على النجدى ناصف .

(١٧) عثرت عليه - مخطوطا - بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، وبمخطوطات جامعة القاهرة ، فقمت بتحقيقه - فى مخطوطة لدى - ثم علمت - بطريق المصادفة - أنه حقق فى دمشق عن طريق عز الدين التنوخى ، وأن مجمع اللغة العربية بدمشق قد نشره سنة ١٩٦٢م ، فبحثت عنه - مطبوعا - فى مظان وجوده بمصر ، فلم أعثر عليه - مما يدل على مدى الحاجة الى اعادة اخراجه مرة أخرى - ثم عثرت - أخيرا - على نسخه منه مصورة باهتة الصورة - لدى الزميل الدكتور أحمد طه سلطان ، فأعارنى اياها مشكورا .

اللام والنون وتنتهى بباب الدال والذال ، » (١٨) هذا الى جوار أبواب أخرى وصلت عدتها الى خمسة أبواب • (١٨)

وقد حشد ابن السكيت « فى كل باب من أبواب كتابه : ما وقف عليه من كلمات تمثل الظاهرة التى يؤلف فيها ، ونسب القول الى صاحبه من علماء اللغة الذين روى عنهم ما أمكن ذلك ، ونسر معناها • واستشهد للكلمتين (المختلفتين فى الحروف) حينا ، ولاحداهما حينا ، الا أن ما ذكره من شواهد : يعد قليلا اذا قورن بالذى ترك الاستشهاد عليه ، وذيل الشواهد أحيانا بتفسير بعض كلماتها » (١٨)

والحظ عليه - فى كتابه - : أنه ساق الأبواب دون ترتيب معين ، كما أنه ذكر صورا للابدال ، لاتوجد فيها علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه ، وذلك مثل :

باب الحاء والجيم ، فليست هناك علاقة صوتية بينهما ، سواء فى المخرج أو الصفة ، فالحاء : صوت حلقى ، والجيم صوت شجرى ، ثم ان الحاء : صوت مهموس رخو منفتح مستفل ، والجيم : صوت مجهور شديد مصمت مقلقل منفتح ، فبينهما بعد فى المخارج والصفات•

و - أيضا - : باب اللام والدال : فاللام صوت ذلقى ، والدال صوت نطعى ، وبينهما اختلاف فى صفات : الشدة والاصمات والقلقلة •

وغير ذلك كثير من الأبواب التى لاتوجد علاقة صوتية بينها ، ومع ذلك حشدها ابن السكيت فى كتابه •

وقد تتبع الدكتور ابراهيم أنيس تلك الأبواب « فى كتابه : من

---

(١٨) من مقدمة : د• حسين شرف لكتاب الابدال لابن السكيت : ص ٤٨ ، ٤٩ •

أسرار اللغة » (١٩) ، ولم يعترف بذلك الابدال ، وذهب الى أنه ينبغى أن نعد كل صورة من صـــور الابدال هذه مستقلة عن أختهـــا ، وأن احداهما قد جاءت من مصدر ، والأخرى جاءت من مصـــدر آخـــر ، بل ويصح اعتبارها من الترادف الحقيقى (٢٠) ٠

ثم عزا ـ د٠ أنيس ـ وجود أمثال هذه الكلمات ـ فى كتب اللغة ـ الى التصحيف أو التحريف ، الذى ترك آثارا أو ندوبا فيما روى لنا من ألفاظ اللغة ٠ (٢١)

وخلص الى أنه « ليس من التجنى ٠٠ ٠٠ أن نرجح أن بعض تلك الكلمات التى قيل لنا ان بينها ابدالا : لاتمت الى الابدال بأية صلة ، بل هى وليدة التصحيف » (٢٢) ، وذلك بعـــد أن اســـتعرض طائفة من المرويات المصحفة ٠ (٢٣)

ثانيا : منهج كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر ـ للزجاجى ٠

يتفق هذا الكتاب مع كتاب الابدال ـ لابن السكيت ـ فى عـــدد الأبواب ، حيث يصل عدد أبوابه الى خمسة وثلاثين بابا أيضا ، ولكنهما يختلفان فى ماهية الأبواب ٠ فهنـــاك أربعة عشر بابا أوسع لها ابن السكيت مكانا فى كتابه ولم يفعل ذلك الزجاجى ،وهى الأبواب التالية :

١ ـ العين والحاء ٢ ـ الخاء والجيم ٣ ـ الحاء والجيم

٤ ـ الفاء والكاف ٥ ـ الكاف والجيم ٦ ـ السين والشين

---

(١٩) ص ٧٥ ط ٥ سنة ١٩٧٥٠ ـ نشر الأنجلو بمصر ٠

(٢٠) المرجع السابق : ص ٨١ ٠

(٢١) المرجع السابق : ص ٨٤ ٠

(٢٢) المرجع السابق ص ٨٥ ٠

(٢٣) المرجع السابق : ص ٨٤ ، ٨٥ ٠

٧ - اللام والدال ٨ - الصاد والطاء ٩ - الطاء والجيم

١٠ - الصاد والضاد ١١ - الدال والزاى ١٢ - الهمزة والياء

١٣ - الواو والهمزة ١٤ - الزاى والذال .

وهذا ان دل على شيء : فانما يدل على **استقلالية الزجاجى** فى تأليفه لهذا الكتاب .

فهو لم يسر سير ابن السكيت حذوك النعل بالنعل ، ولم ينقل كل مافى كتابه .

وهذا يجعلنا ننظر بحذر الى ماورد بصفحة العنوان - فى النسخة المصورة بجامعة القاهرة - تحت رقم ٢٢٩٦٧ - عن المخطوطة الموجودة بمكتبة رئيس الكتاب باستامبول - تحت رقم ٨٧٩ - والتى جاء فيها : « اخبار أبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى .. .. .. عن ابن السكيت .. .. .. سماع لعبد الله ابن محمد الخطابى »

أقول : يجعلنا منهجه الذى سار عليه ننظر الى هذا القول نظرة حذرة ، فلو كان الزجاجى روى كتابه - فى الابدال عن ابن السكيت حقا : لجاء هذا الكتاب مقابقا لكتاب ابن السكيت ، ولكنه اختلف عنه فى أربعة عشر بابا - كما ترى - أى ما يقرب من نصف أبواب الكتاب .

ولكن : يبدو أن اتفاق الزجاجى مع ابن السكيت فى أبواب أخرى عديدة : جعل الناظر اليه نظرة غير مدققة يظن أن الزجاجى روى كتاب ابن السكيت ونقله فى كتابه ، فقال ما قال ، وذكر ما ذكر ، مما لايتفق وحال الكتابين .

التأثير والتأثر :

وان كان هذا لاينفى قاعدة التأثير والتأثر بينهما ، حيث كان كتاب ابن السكيت هو السابق فى هذا المضمار ، وهو الاكثر شهرة فى

هذا المجال ، ولهذا تردد ذكره فى كثير من معاجم اللغة العربية ، وعلى رأسها موسوعة المعاجم : لسان العرب .

ثم ان بينهما من الزمن قرابة قرن كامل مر بين تاريخى وفاتهما .

نظرة جديدة للابدال :

وبالاضافة الى ماسبق ذكره : فقد نهج الزجاجى - فى تأليف كتابه - نهجا - نحسبه يختلف عن نهج ابن السكيت ، وان كان - يتفق مع ماحدث - فى القرن الرابع الهجرى - من تطورات فكرية وصوتية ولغوية ، جعلت الزجاجى يحجم عن كثير مما أقدم عليه ابن السكيت فى ابداله .

ففى هذا القرن شاعت نظرية أبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ) الذى قال (٢٤) : « أصل البدل فى الحروف : انما هو فيما تقارب منها وذلك نحو : الدال والطاء والتاء ، والذال والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه ».

ثم تلقفها منه تلميذه ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) وساقها فى خصائصه (٢٥) تحت « باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » حيث قال (٢٥) : « فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين ، كل واحد منهما قائم برأسه : لم يسغ العدول عن الحكم بذلك ، فان دل دال ، أو دعت ضرورة الى القول بابدال أحدهما من صاحبه : عمل بموجب الدلالة ، وصير الى مقتضى الصنعة » .

ولا أقول ان الزجاجى تأثر بقولهما - فبينهما من الزمن ماقد يمنع

---

(٢٤) لسان العرب : حشث .

(٢٥) الخصائص : ٢/٨٢ .

ذلك - ولكنى أذهب الى أنهما بلورا هذه الفكرة وعبرا عنها ، وهذا لايمنع من وجودها وتداولها بين علماء هذا القرن ، ودليل ذلك : اعتناق الزجاجى لها عملا ، وان كان لم يصرح بذلك لاعتبار هذه الفكرة من مسلمات عصره ومابعد عصره ، فهذا هو ابن السيد البطليوسى (ت ٥٢١هـ) - اللاحق لهؤلاء جميعا - يشترط للابدال شروطا لايتحقق بغيرها ، وذلك - مثلا - عندما تحدث عن قلب السين الى صاد ، حيث قال (٢٦) : « كل سين وقعت بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء : جاز قلبها صادا » ، ومثل لذلك بأمثلة من القرآن الكريم . ثم قال (٢٦) :

« وشرط هذا الباب : أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف ، لامتأخرة بعدها ، وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لامتباعدة عنها ، وأن تكون السين هى الأصل ، فان كانت الصاد هى الأصل : لم يجز قلبها سينا ، لأن الأضعف يقلب الى الأقوى ، ولا يقلب الأقوى الى الأضعف »

ثم علل - ابن السيد - قلب السين الى صاد - قبل هذه الحروف - بقوله : (٢٦)

« وانما قلبوها صادا اذا وقعت بعدها هذه الحروف : لأنها حروف مستعلية والسين حرف متسفل ، فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل ، لما فيه من التكليف ، فاذا تقدم حرف الاستعلاء لم يكره وقوع السين بعده ، لأنه كالانحدار من العلو ، وذلك خفيف لاكلفة فيه »

---

(٢٦) كتاب : الفرق بين الحروف الخمسة - لابن السيد البطليوسى - بتحقيق : عبد الله الناصير : ص٤٩٥ ، ٤٩٦ - نشر دار المأمون للتراث بدمشق .

اتفاق المحدثين مع القدامى فى هذه النظرة للابدال اللغوى

وما ذهب اليه هؤلاء العلماء القدامى ، يتفق مع ما ذهب اليه علماء اللغة المحدثون ، الذين رأوا « أن الكلمة ذات المعنى الواحد : حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الاختلاف بين الصورتين لايجاوز حرفا من حروفها : نستطيع أن نفسرها على أن احدى الصورتين هى الأصل ، والأخرى فرع لها أو تطور عنها ٠

غير أنه - فى كل حالة - يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين : المبدل والمبدل منه ، ودراسة الأصوات : كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها ٠

أى أن : القرب فى الصفة أو المخرج : شرط أساسى فى كل تطور صوتى ٠ » (٢٧) وهذه المبادىء ، وتلك المعايير - القديمة الحديثة - حاول الزجاجى أن يراعيها فى ابداله ، وهذا ماسوف نتحقق منه حين النظر فيما ساقه من ابدال فى كتابه ٠

ثالثا : منهج كتاب الابدال لأبى الطيب اللغوى

على الرغم من أن أبا الطيب كان معاصرا للزجاجى - حيث توفى أبو الطيب بعده بأحد عشر عاما - الا أنه لم يصنع صنيع الزجاجى فى ابداله ، بل حشد فى كتابه كل ماظنه من الابدال ، وكل مالمح فيه رائحة الابدال ، فجاء كتابه ضخما ، مشتملا على سبعة وعشرين بابا مرتبة على حروف المعجم ٠

وحشد فى كل باب كل ما يمكنه أن يبدل منه الصوت صاحب الباب ٠

---

(٢٧) د٠ أنيس - من أسرار اللغة : ص ٧٥ ٠

فمثلا : ذكر فى باب الباء أبداله وهى : التاء والثاء والجيم والحاء والدال والذال والراء والزاى والسين والشين والصاد و لضاد والطاء والعين والفاء والقاف واللام والميم والنون والواو والهاء والياء (١/١-٩٤)

ثم ذكر فى باب التاء ابداله وهى : الثاء والخاء والدال والذال والراء والزاى والسين والشين والصاد والطاء والعين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو والهاء والياء (١ / ٩٤ - ١٥٤) وهكذا فى كل أبوابه .

والملحوظ عليه أنه كان حين يتكلم عن الصوت ومايبدل منه لايعود الى ذكره مرة أخرى فى باب الصوت الآخر .

فمثلا : رأيته فى باب التاء يذكر ابداله من الثاء وحين عقد باب الثاء لم يذكر فيه ابدالا من التاء لسبق ذكره فى الباب السابق له .

بين أبى الطيب والزجاجى :

ولو قارنا بعض أبواب كتاب الزجاجى مع نظيرها عند أبى الطيب لتبين لنا الفارق بينهما ..

ففى أبدال الثاء - مثلا - : نجد أنه أبدل عند الزجاجى من ثلاثة أصوات فقط هى : الذال والسين والفاء ، وهى منثورة فى الأبواب التالية :

١ - الثاء والذال (٢٨) ٢ - السين والثاء (٢٩) ٣ - الثاء والفاء (٣٠)

---

(٢٨) انظر : الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى : مخطوطة دار الكتب المصرية : ص ٦٠ .

(٢٩) انظر : المرجع السابق : ص ٦٢ .

(٣٠) انظر : المرجع السابق : ص ٦٨ .

والثلاثة : متجاورون فى المخارج ، حيث أن السين أسلية ، والثاء لثوية ، والفاء شفوية ، كما أنهـا متفقة فى صـفات : الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال ، وبذلك : لايستغرب قلب أحدها الى الآخر ٠

أما أبو الطيب اللغوى ـ فى ابداله ـ : فقد أبدل الثاء من أحد عشر صوتا ، هى : الجيم والحاء والخاء والدال والراء والشين والصاد والضاد والكاف والميم والياء(٣١) ٠٠

وان نظرة عجلى الى هذه الأصوات المبدلة من الثاء : تريك أن بين أكثرها وبين الثاء بونا شاسعا فى المخارج والصفات ٠

فالثاء لثوية ، بينما الجيم شجرية والحاء والخاء : حلفيتان ، والدال نطعية ، والراء ذلقية ، والشين شجرية ، والصـاد أسـلية ، والضـاد شجرية ، والكاف لهوية ، والميم شفوية والياء جوفية ٠

وهذا من ناحية المخـارج ، أما من ناحية الصفات : فالثاء صـوت مصمت مهموس رخو منفتح مستفل ، بينما معظم الأصوات الأخرى : لا تتفق معه الا فى صفة أو صفتين ٠

ومثل هذا الذى ساقه أبو الطيب فى ابداله ـ مما ابتعدت مخارجه ، وتنافرت صفاته ـ لا يعده بعض علماء اللغة من قبيل الابدال ، بل يعده مما جاء مقولا بحرفين ٠

ومن هؤلاء : ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، حيث أفرد لهذا النوع بابا

---

(٣١) كتـاب الابدال ـ لأبى الطيب اللغـوى ـ بتحقيـق عز الدين التنوخى : ١/١٥٤ ـ ٢٠٤ ـ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٠ ٠

فى مخصصه سماه « باب ما يجىء مقولا بحرفين وليس بدلا » ، قال فيه(٣٢) :

« أما ما كان جاريا على مقاييس الابدال التى أبنت : فهو الذى يسمى بدلا ، وذلك : كابدال العين من الهمزة ، والهمزة من العين ... فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتة ، فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا وذلك كابدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق » .

وقد سار أبو الطيب فى كتابه (الابدال) - بعد ذلك - مسيرة ابن السكيت والزجاجى ، فحشد فى كل باب أمثلته الدالة على المبدل والمبدل منه ، مع استشهاده بشواهد متنوعة ، بعضها للمبدل وبعضها الآخر للمبدل منه ، مع تذييلها بالشرح المناسب أحيانا .

الزجاجى .. والابدال اللغوى

بقى سؤال يتحرك فى النفس قائلا : ترى هل سار الزجاجى فى كتابه عن الابدال هذا المسار المعتدل ، والذى اعتبره ابن سيدة - وغيره من القدامى والمحدثين - من الابدال حقا ؟ و تحول عن مساره بعض الشىء ؟ .

هذا ما سوف نعرفه - ان شاء الله تعالى - بعد أن نستعرض أبواب الكتاب ونعرضها على معرض علم الصوتيات الذى أشار اليه الدكتور أنيس(٣٣) .

ولكن ألا يليق بنا أن نعرج على الزجاجى وكتابه فنتعرف عليهما - عن قرب - قبل أن نخوض فى ذلك الغمار ؟

---

(٣٢) المخصص : ١٣/٢٧٤ .

(٣٣) انظر : من أسرار اللغة : ص ٧٥ .

أولا : الزجاجى :

من هو : أجمع المؤرخون له على أنه هو : أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجى ، ولم يرتفعوا بنسبته أكثر من ذلك(٣٤) ، ربما لأنه لم يكن عربى الأصل ، وربما لأن آباءه لم يكونوا من ذوى الشأن .

وسمى بالزجاجى : لأنه « تلمذ لأبى اسحاق ابراهيم بن السرى

---

(٣٤) انظر فى ذلك المراجع الآتية :

- وفيات الأعيان - لابن خلكان - بتحقيق د: احسان عباس : ٣/١٣٦ - نشر دار صادر بيروت .

- بغية الوعاة - للسيوطى - بتحقيق : محمد أبو الفضل : ٢/٧٧ - ط ١ سنة ١٩٦٥ - مطبعة عيسى الحلبى بمصر .

- شذرات الذهب - لابن العماد الحنبلى : ٢/٣٥٧ - نشر دار الفكر بيروت

- البداية والنهاية - لابن كثير - بتحقيق د. أحمد ملحم وآخرين : ١١/٢٣٩ - ط ٣ سنة ١٩٨٧ نشر دار الكتب العلمية بيروت .

- الأنساب للسمعانى - بتصحيح وتعليق : عبد الرحمن المعلمى : ٦/٢٧٢ - ط حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٩٦٦م .

- العبر فى خبر من غبر - للذهبى - بتحقيق محمد السعيد : ٢/٦٠ - نشر دار الكتب العلمية .

- سير أعلام النبلاء - للذهبى - بتحقيق ابراهيم الزيبق : ١٥/٤٧٥ - ط ٢ سنة ١٩٨٤ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

- الاكمال فى رفع الارتياب لابن ماكولا - بتحقيق عبد الرحمن المعلمى : ٤/٢٠٥ - ط ٣ مصورة عن ط حيدر آباد الدكن بالهند .

- انباه الرواة - للقفطى - بتحقيق محمد بو الفضل ٢/١٦٠ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م .

الزجاج (المتوفى ببغداد سنة ٣١١هـ) وأخذ عنه الأدب والنحو حتى عرف به »(٣٥) ٠

وأصله : نهاوندى من أهل الصيمرة(٣٦) ، وهى بلدة تقع بين ديار الجبل ، وديار خوزستان(٣٧) ، ببلاد فارس ٠

انتقاله الى بغداد وتعلمه فيها ٠ ثم انتقل الى بغداد ، ولزم الزجاج وقرأ عليه النحو ، وعرف به ونسب اليه(٣٨) ٠

ثم قرأ على غير الزجاج ـ من علماء العربية ورواتها ـ مثل : نفطويه (ت ٣٢٣هـ) وابن دريد (ت ٣٢١هـ) وأبى بكر بن الأنبارى (ت٣٢٨هـ) والأخفش الصغير (على ابن سليمان ـ ت ٣١٥هـ) ومحمد بن العباس اليزيدى(٣٩) (ت ٣١٠هـ) وابن جرير الطبرى(٤٠) (ت ٣١٠هـ) ٠

ومن صفاته : أنه كان حسن السمت مليح الشارة(٤٠١) ٠

انتقاله الى الشام : وبعد أن بلغ حظا كبيرا من العلم ـ فى بغداد ـ:

---

(٣٥) الأنساب ـ للسمعانى ٦/٢٧٢ ٠

(٣٦) انظر : انباه الرواة : ٢/١٦٠ ، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ ، وقد ذكر السيوطى فى بغية الوعاة (٢/٧٧) أنه من صيمر ، ولكنى لم أجد فى معجم البلدان الا (صيمرة) فلعله تحريف ٠

(٣٧) انظـر : معجم البلدان ـ لياقوت الحموى ٣/٤٣٩ ـ ط دار صادر ببيروت ٠

(٣٨) انباه الرواة : ٢/١٦٠ ، بغية الوعاة ٢/٧٧ . مرآة الجنان لليافعى ٢/٣٣٢ ـ نشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ببيروت ، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ ، الأنساب ٦/٢٧٢ ٠

(٣٩) انظر : وفيات الأعيان ٣/١٣٦ ، الاكمال لابن ماكولا ٤/٢٠٥

(٤٠) سير أعلام النبلاء : ١٥/٤٧٥ ٠

انتقل الى الشام فأقام بحلب مدة ، ثم انتقل الى دمشق فأقام بها(٤١) ، وصنف مصنفاته ، وانتفع الناس بعلمه ، وتخرجوا على يديه(٤٢) .

كما حدث بها عن أساتذته الذين تعلم على يديهم(٤٣) .

أهم مصنفاته :

أولا : كتاب الجمل فى النحو ، ذلك الذى قيل عنه : انه كان كتابا مباركا ، لم يشتغل به أحد الا انتفع به ، لأنه ألفه بمكة المكرمة ، وكان يطوف حول الكعبة بعد انتهاء تأليف كل باب منه ، ويدعو الله أن ينفع به(٤٤) .

كما أنه كان لا يبيض مسألة فى هذا الكتاب الا وهو على وضوء ، فلذلك بورك فيه(٤٥) .

وعلى الرغم من كل هذه البركات : فان الكتاب لم يسلم من النقد.

كما نه كان يحتاج الى شرح وتفسير ، ولذلك كان له من الشروح

---

(٤١) انباه الرواة ٢/١٦٠ ، العبر فى خبر من غبر ٢/٦٠ ، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ .

(٤٢) وفيات الأعيان ٣/١٣٦ ، انباه الرواة ٢/١٦٠ .

(٤٣) الاكمال ٤/٢٠٥ .

(٤٤) البداية والنهاية لابن كثير : ١١/٢٣٩ ، وقد وردت روايات أخر - فى مصادر كثيرة -: حول هذا الأمر ، وكلها تذكر أنه كان يطوف أسبوعا بعد كل باب يكتبه ، ولكنى وجدت رواية ابن كثير أقرب الى المعقول فذكرتها ، وان شئت فانظر : العبر ٢/٦٠ ، بغية الوعاة ٢/٧٧، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ - هذا وقد نشر الكتاب بالجزائر سنة ١٩٢٧م مع شرح شواهده .

(٤٥) انظر : سير أعلام النبلاء - للذهبى ١٥/٤٧٦ .

والتعليقات - في بلاد المغرب وحدها - ما يربو على مائة وعشرين شرحا(٤٦) .

ومن أشهر من تناولوا هذا الكتاب بالشرح والتعليق وشرح شواهده:

١ - ابن العريف (ت ٣٩٠هـ) في كتابه : شرح الجمل .

٢ - أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩هـ) في كتابه : عون الجمل ، وهو شرح لشواهده .

٣ - الأعلم الشنتمرى (ت٤٧٦هـ) في كتابه : شرح الجمل .

٤ - ابن السيد البطليوسى (ت ٥٢١هـ) في كتابه : اصلاح الخلل الواقع في الجمل(٤٧) .

٥ - ابن عصفور الأشبيلى (ت٦٦٣هـ) في كتابه : شرح جمل الزجاجى(٤٨) .

ثانيا : كتاب الايضاح في النحو(٤٩) .

ثالثا : شرح خطبة : أدب الكاتب - لابن قتيبة (ت٢٧٠هـ) .

رابعا : شرح كتاب : الزاهر في معانى الكلام الذى يستعمله الناس - لابن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) .

---

(٤٦) انظر : شذرات الذهب ٢/٣٥٧ .

(٤٧) حققه د. حمزة النشرتى ، ونشرته دار المريخ بالرياض سنة ١٩٧٩م .

(٤٨) وصف ابن كثير هذا الكتاب بأنه من أحسن شروح الجمل وأجمعها ، هذا وقد حققه د. صاحب أبو جناح ونشرته وزارة الأوقاف بالعراق .

(٤٩) طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٩ بتحقيق : د. مازن المبارك .

خامسا : كتاب اللامات(٥٠) ٠

سابعا : كتاب المخترع فى القوافى ٠

ثامنا : كتاب حروف المعانى(٥١) ٠

تاسعا : الأمالى الكبرى والوسطى والصغرى(٥٢) ٠

عاشرا : مجالس العلماء(٥٣) ٠

وغير ذلك من الكتب والرسائل التى قام بتأليفها أو شرحها ٠

مكانته العلمية:

دلت مؤلفاته وشروحه المنسوبة اليه على تبحره فى علوم اللغة بأنواعها ٠ وقد عده ابن الأنبارى(٥٤) من طبقة أبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ) وأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ) ٠

كما لقبه الذهبى بلقب : شيخ العربية(٥٥) ٠

وان كانت الانتقادات التى وجهت اليه فى كتاب الجمل ، والمآخذ التى أخذها عليه أبو على الفارسى - حين وقف على بعض مسائله النحوية

---

(٥٠) طبع فى مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٩ بتحقيق : د٠ مازن المبدك ٠

(٥١) نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٦ ، بتحقيق : د٠ على توفيق الحمد ٠

(٥٢) نشر سنة ١٣٨٢هـ بتحقيق : عبد السلام هارون ٠

(٥٣) نشر بالكويت سنة ١٩٦٢م بتحقيق : عبد السلام هارون ٠

(٥٤) انظر : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى - بتحقيق : محمد أبو الفضل ص ٣٠٦ - نشر دار نهضة مصر ٠

(٥٥) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى ٨٥٤/٣ - نشر دار الفكر العربى سير أعلام النبلاء ٤٧٥/١٥ ٠

التى وردت الى العراق - من الشام - مع بعض الطلبة ، وقال : لو رآنا الزجاجى لاستحيا منا - بالاضافة الى ما أخذ عليه فى شرح مقدمة أدب الكاتب(٥٦) .

كل ذلك : يشعرنا باهتزاز مكانته العلمية بين العلماء ، ولكنى أردد مقالة ابن السيد البطليوسى الذى تعقبه فى كتاب الجمل ، ثم قال(٥٧) :

« وليس اختلال بعض عباراته مما يخل بمحله فى العلم ومكانته . فقد قال الحكماء : من ألف فقد استهدف ، فان أحسن فقد استعطف ، وان أساء فقد استقذف .

وباختلاف المختلفين ظهرت المعانى للناظرين ، وفطرة الانسان مبنية على النقصان ، وان أصاب فى معنى أخطأ فى معنى ، وان كمل من جهة نقص من أخرى ، وانما الكمال الذى لا نقص فيه : لخالق الأشياء الذى لا تغيب عنه غائبة فى الأرض ولا فى السماء » .

اخراجه من دمشق : وقد أخرج من دمشق لتشيعه للامام على رضى الله عنه - وكان فى الدماشقة بقايا عداوة للامام على - وذهب الى طبرية مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيدية(٥٨) .

وفاته : علم المؤرخون مكان ولادته ، وان كانوا قد جهلوا تاريخها ، كما أنهم اختلفوا فى تحديد مكان وتاريخ وفاته .

فقال بعضهم : انه توفى بدمشق ، وقيل بطبرية(٥٩) ، ولكن

---

(٥٦) انظر : انباه الرواة ١٦١/٢ ، نزهة الألباء ص ٣٠٦ .

(٥٧) كتاب اصلاح الخلل الواقع فى الجمل - بتحقيق : د. حمزة النشرتى ص ٢ - نشر دار المريخ بالرياض .

(٥٨) انظر : سير أعلام النبلاء ٤٧٦/١٥ ، وفيات الأعيان ١٣٦/٣

(٥٩) وفيات الأعيان ١٣٦/٣ ، البداية والنهاية ٢٣٩/١١ .

الأكثر منهم حدد مكان وفاته فقال انه : مات بطبرية(٦٠) ، واعتقد أن هذا هو الأرجح ، لأنهم لو علموا رأيا آخر لذكروه،ولو شكوا فى هذا المكان لأظهروا شكهم كالسابقين لهم .

وأما عن تاريخ وفاته : فقد قيل(٦١) : انه توفى فى رجب سنة سبع أو سنة تسع وثلاثين ، أو فى رمضان سنة أربعين وثلاثمائة .

وقيل(٦٢) : انه توفى فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل فى ذى الحجة منها ، وقيل فى رمضان سنة أربعين .

ولكن أكثر المؤرخين على أنه توفى فى رمضان من سنة ثلاثمائة وأربعين(٦٣) . رحمه الله رحمة واسعة .

ثانيا : كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

بدايته : بدأ الزجاجى كتابه هذا بالاشارة الى فحواه ، حيث قال(٦٤) « يقال لهذه الحروف : الابدال والمعاقبة والنظائر ، ومنها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنين وثلاثة ، وليس كل الحروف كذلك » ، وهو يقصد بالحروف ـ هنا ـ : الأصوات التى يقع بينها الابدال ، بدليل قوله :

---

(٦٠) انظر : بغية الوعاة ٢/٧٧ ، العبر فى خبر من غبر ٢/٦٠ ، شذرات الذهب ٢/٣٥٧ ، انباه الرواة ٢/١٦٠ ، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ سير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٦ .

(٦١) البداية والنهاية ١١/٢٣٩ ، وفيات الأعيان ٣/١٣٦ .

(٦٢) بغية الوعاة ٢/٧٧ .

(٦٣) انظر : العبر ٢/٦٠ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : ٣/٣٠٧ ط دار الكتب المصرية ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٦ ، انباه الرواة ٢/١٦٠ .

(٦٤) كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر بتحقيق عزالدين التنوخى ص١

« ومنها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنين وثلاثة ، وليس كل الحروف كذلك » .

وقد فسر المحقق المراد بالحروف هنا : بأنه الكلمات والنظائر التى يقع بينها التبادل والتعاقب (٦٥) ، وهذا يخالف ـ فى رأيى ـ منطوق كلام الزجاجى .

ترتيب أبواب الكتاب : ساق الزجاجى أبواب الكتاب ـ الخمسة والثلاثين ـ دون ترتيب معين ، فقد ذكر أولا : باب الواو والألف والياء ، ثم أعقبه بباب الواو والألف وحدهما ، ثم بباب الألف والياء وحدهما ، ثم بباب الواو والياء وحدهما ، ثم بباب الهاء والألف والهمزة ، ثم بباب العين والهمزة ، ثم بباب الباء والميم .. .. وهكذا الى أن وصل الى آخر باب فى كتابه ، وهو باب التاء والكاف .

وندرك ـ من هذا ـ أنه لم يرتب أبواب كتابه ترتيبا هجائيا أو صوتيا ، وانما ساق الأبواب كيفما اتفق ، دون رابط يربط بين السابق واللاحق .

وقد نهج هذا النهج فى سوق الأمثلة داخل الأبواب ، فمثلا نجده فى باب السين والثاء يسوق الأمثلة الآتية هكذا : « ساخ فى الأرض وثاخ فيها أى : دخل ، ومرست الشىء أمرسه ، ومرثته أمرثه مرثا ، ولطسه ، ولطثة أى : ضربه ، وملاطس ، وملاطث » (٦٦)

---

(٦٥) انظر : كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر ـ بتحقيق عز الدين التنوخى : ص ١ .

(٦٦) انظر : مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٣٢٢ (لغة تيمور) : ص ٦٢ .

أمثلته وشواهده :

١ ـ كان الزجاجى يسوق أمثلة للابدال الواقع فى كل باب ٠

وقد اختلفت هـذه الأمثلة ـ فى الأبـواب ـ كثرة وقلة حسـب حصيلته فى كل باب ، ففى باب السين والثاء ـ السابق الذكر ـ مثلا : ذكر أربعة أمثلة ـ فقط ـ للابدال ، أما فى باب الـواو والياء (٦٧) : فقد ذكر أربعين مثالا للابدال ٠

٢ ـ وكان أحيانا ينبه على الأصل المبدل منه ، مثل ما قال فى باب اللام والراء : (٦٨)

« والعنصر والعنصل ، وهو الأصل » ،ونفهم من ذلك أن الأصل : باللام ـ لأن الضمير يعود على أقرب مذكور ـ والبدل بالراء ، وان كان « اللسان » لم يذكر شيئا عن هذا البدل ٠ (٦٩)

٣ ـ وأحيـانا لا ينبه على الأصـل المبدل منه ، مثل قوله (٧٠) : « يقال : هو أفضل منك وأفضر » وقد قلهم هنا مانعتقد انه الأصـل ، لأن (فضر) لم أعثر عليها فى « اللسان (٧١) » ٠

٤ ـ كان ـ أحيـانا ـ يفسر المثال الذى يحتاج الى تفسـير ، كقوله ـ فى باب : الواو والألف والياء (٧٢) ـ : « ورجل قاق ، قيق وقوق ، أى : طويل مضطرب ٠

---

(٦٧) انظر : المخطوطة السابقة الذكر : ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ٠

(٦٨) انظر : المرجع السابق : ص ٦٥ ٠

(٦٩) انظر : اللسان : عنصر وعنصل ٠

(٧٠) انظر : المخطوطة السابقة الذكر : ص ٦٥ ٠

(٧١) اللسان : فضل ٠

(٧٢) المخطوطة السابقة : ص ٥١ ٠

وكقوله ـ فى باب الواو والألف (٧٣) ـ : « وكان صغوه وصغاه معك ، أى : ميله » .

٥ ـ لاحظت أنه يأتى بأمثلة ـ للابدال ـ لا وجود لها فى المعاجم الأمهات ، كهذين المثالين السابقى الذكر ، وغيرهما كثير ، مثل قوله ـ فى باب السين والزاى(٧٤) ـ : « ومنه : سغسغة وزغزغة اذا غمزه بالرمح .. .. .. وسلحفاة وزلحفاة ، وهو من المقلوب أيضا » ، فهذان البدلان لم أر لهما ظلا فى اللسان أو الصحاح أو القاموس المحيط (٧٥)

ومثل قوله ـ فى باب الزاى والسين والصاد (٧٦) ـ : « ويقال : زدغ وسدغ وصدغ ومزدغة ومسدغة ومصدغة » ، فانه ليس فى اللسان : زدغ ولا مزدغة . (٧٧)

ومثل قوله ـ فى باب الشين والجيم (٧٨) ـ : « وعنز شهاصة وجهاصة ، أى : قليلة اللبن » ، فان مادتى : شهص وجهص : ليستا فى اللسان ولا فى القاموس المحيط .

وأمثال ذلك ـ مما يعتبر من الزيادات على المعاجم اللغوية المطبوعة ـ كثير .

---

(٧٣) المرجع السابق : ص ٥٢ .

(٧٤) المرجع السابق : ص ٦٤ .

(٧٥) انظر : اللسان والصحاح والقاموس المحيط : زغغ ، سغسغ ، زلحف ، سلحف .

(٧٦) المخطوطة السابقة : ص ٦٤ .

(٧٧) انظر : اللسان : صدغ ، زدغ .

(٧٨) المخطوطة السابقة : ص ٦٢ .

هذا : وقدسها محقق الكتاب عن ادراج هذه الأمثلة داخل فهرس فوائت المعاجم . (٧٩)

٦ - وكان الزجاجى - فى أحيان كثيرة - يستشهد على ابداله بشواهد مختلفة ، بعضها من القرآن الكريم ، وأكثرها من الشعر ، وأقلها من الأمثال العربية .

(أ) أما شواهده القرآنية : فقد بلغ عددها : أربعة عشر شاهدا ولم يكن - فى استشهاده هذا - يذكر الآية - موطن الشاهد - كلها ، بل كان يذكر منها : موطن الشاهد فحسب .

فقد قال - فى باب اللام والراء (٨٠) - : « وخلق الله الخلق وخرقهم ، وقال تعالى : وخلقهم وخرقوا له » . وهذا جزء من الآية : « وجعلوا له شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » (الأنعام /١٠٠) .

(ب) وأما شواهده الشعرية : فقد بلغت ثلاثة وستين شاهدا لشعراء كثيرين ، بعضهم جاهلى وبعضهم اسلامى ، وكان يسوق هذه الشواهد بطرق مختلفة :

١ - فأحيانا يسوق البيت بأكمله ، ويفسر غوامضه ، مثل قوله - فى باب الفاء والباء (٨١) - : « قال الشاعر :

بنى خناسة مهلا لستم ذهبا ولا صريفا ولكن أنتم الخزب

والصريف ، يقال : الرصاص »

---

(٧٩) انظر : فهرست فوائت المعاجم : ص ١٢٥ .

(٨٠) مخطوطة الكتاب بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٣٢ لغة تيمور) : ص ٦٦ .

(٨١) المرجع السابق : ص ٦٨ .

٢ ـ وأحيانا يسوق شطرا من البيت ، مثل قوله ـ فى باب الواو والألف والياء (٨٢) ـ :

« وقال امرؤ القيس :

● كجلمود صخر حطه السيل من عل ● »

فهذا عجز بيت من معلقة امرىء القيس ، وصدره :

● مكر مفر مقبل مدبر معا ● (٨٣)

٣ ـ وفى كثير من الأحيان كان ينسب البيت لقائله ، وفى بعض الأحايين : كان يغفل هذه النسبة ، كما تلحظه من الشاهدين السابقى الذاكر .

(ج) وأما شواهده من أمثال العرب : فقد كان مقلا منها ، ولم يذكر منها الا ثلاثة فقط ، أولها : فى باب الهاء والألف والهمزة ، حيث قال(٨٤) : ومن أمثال العرب : هيهات حجر من خناصرات » .

وقد ذكر صاحب اللسان (٨٥) أن ذلك ليس من أمثال العرب ، وانما هو من رجز لحميد الأرقط ، يصف ـ فيه ـ ابلا قطعت بلادا حتى صارت فى القفار ، وقد قال ـ قبل هذا الشطر المذكور ـ :

يصبحن بالقفر أتاويات

هيهات من مصبحها هيهات .

---

(٨٢) المرجع اسابق : ص ٥١ .

(٨٣) المعلقات العشر ـ بتصحيح أحمد الشنقيطى ص ٦٥ ط : الرحمانية بمصر .

(٨٤) المخطوطة السابقة ص ٥٦ .

(٨٥) انظر : اللسان : هيه .

وأما المثل الثانى : ففى باب العين والهمـزة ، حيث قال (٨٦) :

« وفى المثل : حدث حديثين امرعه ، فان أبت فأربعة »

وأما المثل الثالث : فقد ذكره فى باب اللام والراء ،حيث قال (٨٦):

« ويقال فى مثل : اصنعه فى سر خميرة وفى سر خميلة ،أى : فى ستر »

هذا : وقدسها محقق الكتاب عن فهرسة هذه الأمثال فى فهرس الشواهد . (٨٧)

(د) والملاحظ - على شواهده تلك وغيرها - أنها :

١ - أحيـــانا تكون للكلمتين المختلفتين فى الحـروف ، كقوله :

« وقال تعالى : وخلقهم وخرقوا له »

٢ - وأحيـــانا تكون للكلمة المبدل منها ، كمـا فى قوله (٨٨) :

« وهو الحم والهم ، قال طرفة :

● حصة حم كلكلها ●

٣ - وأحيانا تكون للكلمة المبدلة ، كما فى قوله (٨٩) : والخزف والخزب ، وهو الورم يكون فى الضرع ، قال الشاعر :

بنى خناسـة مهلا لسـتم ذهبا ولا صريفـا ولكن أنتم الخزف

٤ - وفى بعض الأحيان كان ينسب الشـواهد لغير أصحابهـا ، مثل قوله - فى باب الكاف والقـاف (٩٠) - : « وجاءنى بقـراب قدح وكرابه ، أى : بقريب من امتلائه ، وقال أوس :

---

(٨٦) مخطوطة دار الكتب المصرية (٣٣٢ لغة تيمور) ص٥٧ ، ٦٦

(٨٧) انظر : فهرس شواهد الكتاب المحقق : ص ١٢٠ - ١٢٤

(٨٨) المخطوطة السابقة : ص ٧١

(٨٩) المخطوطة السابقة : ص ٦٨ .

(٩٠) المخطوطة السابقة : ص ٦٧ .

وتقـــول عاذلتى وليس لهـــا بغـــد ولا مابعـــده علم

ان الثـــراء هو الخلـــود وان المرء يكرب يومه انعدم »

فهذان البيتان ليســا لأوس بن حجر ، ولكنها لطرفة بن العبــد ، ومثبتان فى ديوانه (٩١) .

٥ ـ وأعتقد أن مثل هذا الشـــاهد ـ الســابق الذكر ـ : ليس مناسبا لما استشهد به عليه ، فقد أتى به شاهدا على الابدال الواقع بين القاف والكاف فى كلمة (يقرب) أى : يكاد . لكن هنـاك فرق كبير فى المعنى بين الشاهد وهذا ، لأن الكلمة فى الشاهد (يكرب) من الكرب وليست من القرب ، ومعناها : ان العدم (الفقر) يجعل حياة الانسان وأيامه فى كرب ، فالكاف هنا أصلية وليست مبدلة من القاف .

(هـ) ملحوظات على تحقيق الشواهد فى النسخة المحققة :

بذل محقق الكتـاب (٩٢) جهـدا مشـكورا فى تحقيقه وتخـريج شواهده ، وعلى الرغم من هذا : فقد ندت منه هنات فى تخـريج بعض الشواهد .

وقد رأيت أن أنبه عليها من باب اتمـــام الفـائدة ، لا من باب التفاخر ، فما حصلته ـ فى هذا الباب ـ كان من توفيق الله تعالى وفضله .

وهذه الهنـات هى :

١ ـ نسب المحقق قول الشاعر :

---

(٩١) انظر : ديوان طرفة بن العبد : ص٨٣ ـ نشر دار صـــادر ببيروت .

(٩٢) هو الأســـتاذ عـز الدين التنـوخى ـ عضـو مجمع اللغة العربية بدمشق .

فدعى مط حاجبيك وعيشى معنا بالرجاء والتأمل

نسبه لعبيد بن حصين النميرى أبو جندل الراعى (٩٣) ، بينما هو لعبيد بن الأبرص السعدى ، والبيت موجود فى ديوانه (٩٤) .

٢ - أخبر المحقق عن قول الأعشى :

● .. .. تكساره القنا والمداعصا ●

أنه غير موجود فى ديوان أبى بصير ولا فى شعر العشو الذى فى ذيله ، ولا فى جميع معاجم اللغة المطبوعة . (٩٥)

ولكنى وجدت هذا القول جزءا من بيت للأعشى ، وعثرت عليه بديوانه (٩٦) ، ونص بيت الديوان كما يلى :

فان يلق قومى قومه تربينهم قتالا وأكسار القنا ومداعصا

٣ - قال المحقق عن بيتى أوس بن حجر (حسبما نسبهما المؤلف) :

وتقول عاذلتى وليس لها بغد ولا ما بعده علم

ان الثراء هو الخلود وان المرء يكرب يوم العدم

قال : انهما ليسا فى ديوان أوس ،ولافى المعاجم التى بين يديه(٩٧)

---

(٩٣) الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى - بتحقيق عز الدين التنوخى : ص ٤٠ .

(٩٤) ديوان عبيد بن الأبرص - بتحقيق شارلس لايل : ص ٣٧ ط : ليدن سنة ١٩١٣م .

(٩٥) الابدال والمعاقبة والنظائر - بتحقيق التنوخى : ص ٦١ .

(٩٦) ديوان الأعشى : ص ١٠١ نشر دار صادر ببيروت .

(٩٧) الابدال للزجاجى - بتحقيق التنوخى : ص ٨١ .

وهو محق فى ذلك ، فقد وجدتهما منسوبين لطرفة بن العبد ومثبتين فى ديوانه (٩٨) ٠

٤ - قول المحقق عما ساقه المؤلف من قول طرفة :

● حصته حم كلكلها ●

قال : انه لم يجد هذا الشطر فى ديوان طرفة بن العبد (٩٩) ٠

ولكنى وجدت هذا الشطر فى ديوانه (١٠٠) ، وان كانت رواية الديوان تختلف - بعض الشىء - عن رواية الزجاجى ، فرواية الديوان هى:

جعلته حم كلكلها لربيع ديمة تثمه

وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه ٠

كتاب الزجاجى ٠٠ ومعيار الابدال اللغوى

عرفنا - مما سبق - معيار الابدال اللغوى المعتدل ، وهو : أن تكون هناك علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه ، بحيث يكون بينهما قرب فى الصفة أو المخرج٠

وعرفنا أن هذا المعيار المعتدل : اتفق عليه كثير من علماء اللغة القدامى والمحدثين ٠

وقد وعدت بأن أستعرض أبواب كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ، وأن أعرضها على معرض علم الصوتيات لأجيب على سؤال

---

(٩٨) ديوان طرفة بتحقيق : فوزى عطوى : ص ١١٤ ، ديوان طرفه - نشر دار صادر ببيروت : ص ٨١ ٠

(٩٩) الابدال للزجاجى - بتحقيق التنوخى : ص ١٠٢ ٠

(١٠٠) ديوان طرفة : ص ٨٤ - نشر دار صادر ببيروت ٠

دار فى الأذهان ، ألا وهو : هل سار الزجاجى - فى كتـــابه - حسب معيار الابدال اللغوى أم لا ؟

وها أنذا أفى بالوعد الذى قطعته على نفسى ، وبالله التوفيق ومنه العـون .

١ - باب الـواو والألف والياء .

هذا هو البـاب الأول فى الـكتاب ، وقد عقـده الزجاجى لابدال حروف العلة المدية من بعضها ، وتعـاقبها على الكلمة الواحـدة دون أن يختلف المعنى .

وقد مثل لهذا الابدال أو التعـــاقب بأمثلة كثيرة ، منهـا (١) : « تقول أتيتك من عـــلا ومن علـو ومن على » ثم اســـتشهد على ذلك بشواهد مختلفة .

٢ - مما يتعـــاقب فيه الـواو والألف .

ومثل لذلك بأمثلة كثيرة ، منهـــا (٢) : « السـكوت والسـكات والصموت والصمات »

٣ - باب الألف والياء .

ومن أمثلته الابدالية (٢) : « الآذين والأذان » .

---

(١) مخطوطة كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر بدار الكتب المصرية (وهى ضمن مجموعة لغوية بها سبع عشرة رســالة ، تحت رقم ٣٣٢ لغة تيمور) : ص٥١ ، هذا وسوف تكون هذه النسخة : المرجع الأساسى أمامى ، واختصارا للاسم : سوف أكتفى - فى الاشـارة اليه - بكلمة : (المخطوطة) .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٢ .

٤ - الواو والياء :

ومن أمثلته (٣) : « صواغ وصياغ وصدوح الصوت وصديح ، أى شديد »

وهذه الأبواب يجمعها جامع واحد ، هو : أنها كلها حروف علة ، وأن الابدال فيها انما هو بين هذه الحروف ، وهى - كما قال ابن سيده (٤) - : « أحق بالابدال من كل ماعداها من الحروف ، لاجتماع **ثلاثة أسباب : طلب الخفة ، والكثرة ، والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة** : أنه يتمكن بها أو ببعضها من اخراج الحروف ، ومن جهة ما فيها من المد واللين ، ومن جهة ماتمكن بها فى الشعر من التلحين ، ومن جهة اتساع مخرجها ، على اشتراكها فى ذلك أجمع »

وعقب ابن سيده على ذلك قائلا (٤) : « **أما طلب الخفة** : فانه اذا كان الواو الى الياء - فى ميقات - أخف من الأصل - الذى هو موقات - فهو أولى منه ، فالخفة تطالب به .

وأما الكثرة : فان ماكثر فى الكلام أحق بالتخفيف ، ولها (أى حروف العلة) كثرة ليست لغيرها من الحروف ، لأنه لاتخلو كلمة منهن أو من بعضهن ، اذ لو أشبعت الضمة لصارت واوا ، ولو أشبعت الفتحة لصارت ألفا ، ولو أشبعت الكسرة لصارت ياء ، فالكثرة تطلب التخفيف .. .. ..

وأما المناسبة فتطلب جواز قلب بعض الى بعض من غير اخلال بالكلمة ، من قبل أن المقارب للحرف يقوم مقام نفس الحرف ، فكأنه قد ذكر بذاكره نفس الحرف ، وليس كذلك المتباعد منه . »

---

(٣) المرجع السابق : ص ٥٤

(٤) المخصص : ١٣/٢٦٧ .

ثم اختتم ـ ابن سيده ـ كلامه قائلا (٥) : « فلهذه العلة من اجتماع الأسباب الثلاثة كانت أحق بالابدال من غيرها . »

وبالاضافة الى ما قاله ابن سيده : فان هذه الأصوات : متحدة المخرج والصفات ، فهى جوفية هوائية ، ثم انها تتصف بصفات : الجهر والاصمات والرخاوة والانفتاح والاستفال . (٦)

٥ ـ باب الهاء والألف والهمزة .

أذهب ـ بعد أن درست هذا الباب ـ الى أنه كان من المفروض أن يكون عنوانه : باب الهاء والهمزة فقط ، لأن الألف هنا لادور لها فى الابدال ، الا اذا كان الزجاجى يعتبرها صورة للهمزة .

وقد ملأ الباب بأمثلة للابدال الواقع بين الهاء والهمزة فقط ، ومنها (٧) : « هراق ماءه وأراقة ، وهرشت وأرشت »

ومما يسوغ الابدال بين الهاء والهمزة : اتفاقهما مخرجا ، حيث أنهما يخرجان من أقصى الحلق ، وان كانت الهمزة مما يلى الصدر . ثم تليها الهاء .

كما أنهما يتفقان فى صفات : الاصمات والانفتاح والاستفال .

٦ ـ باب العين والهمزة .

ومن أمثلته (٧) : « هو يستعدى ويستأدى ، وامرأة وامرعه ، وربما قيل هذا وربما قيل هذا »

---

(٥) المخصص : ٢٦٨/١٣ .

(٦) مرجعى فى تحديد صفات ومخارج الأصوات : هو كتاب : الاشتقاق لعبد الله أمين : ص ٣٣٧ ـ ٣٤٩ نشر لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٥٦م .

(٧) المخطوطة : ص ٥٦ .

والابدال بين العين والهمزة ليس مستغربا ، لتقاربهما فى المخرج والصفات .

فالهمزة - كما عرفنا - من أقصى الحلق مما يلى الصدر ، والعين من وسط الحلق مما يلى الصدر ، وكلاهما : صوت مجهور مصمت منفتح مستفل ، ولا يختلفان الا فى أن الهمزة صوت شديد ، والعين صوت بين الشدة والرخاوة .

٧ - باب الباء والميم .

ومن أمثلته (٨) : بكة ومكة .. .. ومن السحاب : بنات مخر وبنات بخر ، التى تأتى قبل الصيف فى السماء لاماء فيها »

والباء والميم : صوتان متجانسان ، حيث تجاورا مخرجا ، واتفقا فى كثير من الصفات .

فمخرجهما : مما بين الشفتين معا ، وان كانت الباء متقدمة على الميم

وكلاهما : صوت مجهور منفتح مستفل ، ولايختلفان الا فى أن الباء صوت شديد مقلقل ، والميم : بين الشدة والرخاوة ، ولا قلقلة فيه .

٨ - باب التاء والدال والطاء .

ومن أمثلته (٩) : مد يمد مدا ، ومط يمط مطا . ومت يمت متا .. .. وقط يقط قطا ، وقد يقد قدا ، وقت يقت قتا »

٩ - باب التاء والدال .

ومن أمثلته (١٠) : « ورميت به مت يدى ومد يدى »

---

(٨) المرجع السابق : ص ٥٧ .

(٩) المخطوطة : ص ٥٨ .

(١٠) السابق : ص ٥٩ .

١٠ - باب الدال والطاء .

ومن أمثلته (١٠) : « خططت أخط خطا ، وخددت اخذ خدا ،وكل خط فى الأرض فهو خد »

١١ - باب التاء والطاء .

ومن أمثلته (١٠) : « أفلت وأفلط وغلت وغلط »

وقد حدث الابدال بين تلك الأصوات : لأنها أصوات متجانسة ، فالثلاثة : أصوات نطعية تخرج من نطع غار الحنك الأعلى - وهو سقفه - مما بين ظهر رأس اللسان وأصـــل الثنيتين العليين ، وتخرج الطـاء فالدال فالتاء .

ثم ان هناك اتفاق بينها في صـفتي الشـدة والاصمات ، وكل من الطاء والدال صـوت مجهـور مقلقل ، وكل من التـاء والدال : صـوت منفتح مستفل .

١٢ - باب الثاء والذال .

ومن أمثلته (١١) : « ويقـــال جثـوة من نار وجذوة ، وجثثته وجذذته جثا وجذا »

وقد حدث الابدال بين هذين الصوتين : لأنهما متفقان في المخرج وفى كثير من الصفات ، فكلاهما : صوت لثوى ، حيث يخرجان مما بين ظهر اللسان - مما يلى رأسه - وبين رأس الثنيتين العليين ، وتخرج - من هـذا المخرج - : الظـاء ثم الذال ثم الثـاء . ثم انهمـا يتفقـان فى صفات : الاصمات والرخاوة والانفتاح والاستفال .

---

(١٠) المخطوطة : ص ٥٩ .

(١١) السابق : ص ٦٠ .

١٣ - باب الحاء والخاء ·

ومن أمثلته (١١) : « نضحته ونضخته ، قال الله تعالى : فيهما عينان نضاختان »

وقد سوغ الابدال بين هذين الصوتين : مايوجد بينهما من تقارب فى المخرج والصفات ، فهما حلقيان ، حيث يخرج صوت الحاء من وسط الحلق ، والخاء : من أدنى الحلق - أى أقربه - الى الفم ، ثم انهما يتفقان · فى صفات : الاصمات والهمس والرخاوة والانفتاح ، ولا يفترقان الا فى أن الحاء صوت مستفل ، والخاء صوت مستعل ·

١٤ - باب الهاء والخاء ·

ومن أمثلته (١٢) : «يقال : الطخاء والطهاء : الغيم الرقيق المرتفع»

والذى سوغ الابدال بينهما : أنهما متجاوران مخرجا ، متحدان فى غالب الصفات ·

فكلاهما : صوت حلقى ، حيث يخرج الهاء من أقصى الحلق - أى أبعده مما يلى الصدر - ويخرج الخاء من أدنى الحلق من الفم ·

وكلاهما : صوت مصمت ، مهموس ، رخو ، منفتح ، مستفل ·

١٥ - باب السين والتاء ·

ومن أمثلته (١٢) : « هو نصيب خسيس وختيت ، وهى الأماليس والأماليت ، لما استوى من الأرض » ·

والذى سوغ الابدال بينهما : أنهما متقاربان مخرجا وصفة ، فالسين أسلى يخرج مما بين أسلة اللسان - أى مما رق منه - وفويق

---

(١١) المخطوطة : ص ٦٠ ·

(١٢) السابق : ص ٦١ ·

الثنايا العليا ، والتاء صوت نطعى - يخرج من نطع غار الحنك الأعلى وهو سقفه - مما بين ظهر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين .

وكلاهما صوت : مصمت ، مهموس ، منفتح ، مستفل .

١٦ - باب السين والثاء .

ومن أمثلته (١٣) : « يقال : ساخ فى الأرض وثاخ فيها ، أى دخل » .

وهذا ابدال بين صوتين متباعدين مخرجا ، فالسين - كما عرفنا من الفقرة السابقة - صوت أسلى ، والثاء : صوت لثوى ، لخروجه من قرب اللثة مما بين ظهر اللسان - مما يلى رأسه - وبين رأس الثنيتين العليين .

وعلى الرغم من تباعد المخرجين : الا أن بينهما علاقة صوتية من جهة الصفات ، فكلاهما : صوت مصمت ، مهموس ، رخو ، منفتح ، مستفل ، ولا يختلفان الا فى صفة الصفير التى يتميز بها صوت السين .

١٧ - باب الشين والجيم .

ومن أمثلته (١٣) : « يقال : همش وهمج ، وهو : ابق ، ومكان شاس وجاس ، أى : مرتفع »

والذى سوغ الابدال بينهما : أنهما صوتان متفقان مخرجا ، حيث أنهما شجريان ، أى : يخرجان من شجر الفم ، وهو مابين وسط اللسان ، ومايقابله من الحنك الأعلى .

وان كانا لا يتفقان الا فى صفتين فقط ، وهما : الاصمات والانفتاح .

---

(١٣) المخطوطة : ص ٦٢ .

١٨ - باب الظاء والضاد .

ومن أمثلته (١٤) : « فاظت نفسه وفاضت ، أى : خرجت »

وهذان صوتان متباعدان مخرجا ، فالضاد : صوت يخرج مما بين احدى حافتى اللسان وما يحاذيها من الأضراس العليا ، والظاء : مما بين ظهر اللسان - مما يلى رأسه - وبين رأس الثنيتين العليين .

الا أنه مما سوغ الابدال بينهما : تقاربهما الشديد فى الصفات ، فكلاهما : صوت مجهور ، مطبق ، مستفل ، مصمت ، رخو ، ولايختلفان الا فى صفة : الاستطالة التى يتميز بها صوت الضاد .

١٩ - باب الصاد والسين .

ومن أمثلته (١٤) : « قصصت خبرى ، وقسسته ، وقد أفرصك الأمر وأفرسك »

٢١ - باب الزاى والسين والصاد .

ومن أمثلته (١٥) : « بزق وبصق وبسق .. .. .. والزقر والصقر والسقر »

٢٢ - باب السين والزاى .

ومن أمثلته(١٥) : « شزب الفرس وشسب ، أى : ضمر »

٢٧ - باب الزاى والصاد .

ومن أمثلته (١٦) : « أزدرت الابل وأصدرتها »

---

(١٤) المخطوطة : ص ٦٣ .

(١٥) السابق : ص ٦٤ .

(١٦) السابق : ص ٦٩ .

وهذه الأبواب الأربعة : يدور الابدال فيها حول ثلاثة أصوات ، هى : الزاى والسين والصاد ، وهى أصوات متفقة فى المخرج ، لأنها أصوات أسلية ، تخرج مما بين رأس اللسان ، وبين صفحتى الثنيتين العليين ، غير أن الصاد أدخل قليلا من السين ، والسين ادخل من الزاى

كما أنها أصوات تتفق فى صفات : الاصمات والصفير والرخاوة . وتتفق الصاد مع السين ، فى : صفة الهمس ، وتتفق السين مع الزاى ، فى صفتى : الانفتاح والاستفال ، وتنفرد الزاى : بالجهر ، وتنفرد الصاد بصفتى : الاطباق والاستعلاء .

٢٠ ـ باب العين والغين .

ومن أمثلته (١٧) : « يقال : ما أنت من عيسانه ولا من غيسانه ، أى : من أخلاسه »

والذى سوغ الابدال بينهما : تقاربهما مخرجا وصفة ، فكلاهما : صوت حلقى ، الا أن العين صوت يخرج من وسط الحلق ، والغين : من أدنى الحلق ـ أى أقربه ـ الى الفم .

وكلاهما : صوت مجهور ، مصمت ، منفتح ، وينفرد صوت العين بصفتى : التوسط بين الشدة والرخاوة ، والاستفال ، وينفرد الغين بصفتى : الجهر والاستعلاء .

٢٣ ـ باب الراء واللام .

ومن أمثلته (١٨) : « هو أفضل منك وأفضر منك ، والعنصر والعنصل ، وهو الأصل » .

---

(١٧) المخطوطة : ص ٦٣ .

(١٨) السابق : ص ٦٥ .

وقد سوغ الابدال بينهما : تقاربهما صفة ومخرجا .

فكلاهما : صوت مجهور ، متوسط بين الشدة والرخاوة ، منحرف، منفتح ، مستفل ، وينفرد صوت الراء بصفة : التكرار .

وكلاهما : من الأصوات الذلقة التى تخرج من طرف اللسان .

٢٤ - باب القاف والكاف .

ومن أمثلته (١٩) : « دق يدق دقا ، ودك يدك دكا ، قال الله تعالى : اذا دكت الأرض دكا » وهذا ابدال بين صوتين متقاربين مخرجا ، متباعدين صفة .

فكلاهما : صوت لهوى (يخرج من اللهاة) وان كان صوت القاف أدخل قليلا من صوت الكاف .

وهما يتحدان فى صفات : الشدة والاصمات والانفتاح ، وتنفرد القاف بصفات : الجهر والاستعلاء والقلقلة ، وينفرد الكاف بصفتى : الهمس والاستفال .

٢٥ - باب الفاء والباء .

ومن أمثلته (٢٠) : « دب دبيبا ، ودف دفيفا »

وهذا ابدال بين صوتين متقاربين مخرجا ، متباعدين صفة .

فهما من الأصوات الشفوية ، ولا يفصل بينهما الا الواو ، فالفاء : صوت يخرج مما بين باطن الشفة السفلى ، ورأس الثنيتين العليين . والباء : يخرج مما بين الشفتين معا .

وهما يتحدان معا فى صفتى : الانفتاح والاستفال ، وينفرد الفاء بصفتى : الهمس والرخاوة ، والباء بصفات : الجهر والشدة والقلقلة .

---

(١٩) المخطوطة : ص ٦٦ .

(٢٠) السابق : ص ٦٨ .

٢٦ - باب الثاء والفاء ٠

ومن أمثلته (٢٠) : « جدث وجدف ، ورجل ذو ثروة وفروة ، وقد أثرى وأفرى » وهذا ابدال بين صوتين متباعدين مخرجا ، ولكنهما متقاربين صفة ٠

فالثاء : صوت لثوى ، يخرج مما بين ظهر اللسان - مما يلى رأسه - وبين رأس الثنيتين العليين ، والفاء : صوت شفوى يخرج مما بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين العليين ٠

وكلاهما يتصف بصفات : الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال ، وينفرد الثاء بصفة الاصمات ٠

٢٨ - باب الغين والخاء ٠

ومن أمثلته(٢١) : « غط يغط فى نومه ، وخط يخط »

وهذا ابدال بين صوتين متجانسين ، اتفقا مخرجا وتقاربا صفة ٠

فكلاهما : يخرج من أدنى الحلق - أى أقربه - الى الفم ، ويخرج أحدهما مما يلى الصدر ، والآخر مما بعده ٠

وكلاهما : يتصف بصفات : الاستعلاء والاصمات والرخاوة والانفتاح وينفرد الغين : بصفة الجهر ، والخاء : بصفة الهمس ٠

٢٩ - باب اللام والنون :

ومن أمثلته(٢٢) : « اسماعيل واسماعين ، وجبريل وجبرين . والسليط والسنيط ، وهو الخل » ٠

---

(٢١) السابق ص ٦٩ ٠

(٢٢) السابق : ٦٩ ٠

وهذا ابدال بين صوتين متقاربين مخرجا وصفة .

فكلاهما من الآصوات الذلقية ، وهى التى تخرج من طرف اللسان.

كما أنهما - يكادان - يتحدان فى الصفات ، حيث أنهما يتصفان بصفات : الجهر ، والتوسط بين الشة والرخاوة ، والانفتاح ، والاستفال والذلاقة . وينفرد اللام بصفة : الانحراف فقط .

٣٠ - باب اللام والميم :

ومن أمثلتـه(٢٣) : « انجبرت يده على عثم وعثل(٢٤) ، وشـممت ما عنده وشملت ما عنده ، أى : خبرته » .

وهذا ابدال بين صوتين متباعدين مخرجا ، ولكنهما متقاربان صفة.

فاللام : صوت يخرج مما بين حافتى اللسان وما يحاذيهما من لثة الضـاحكتين والنابين والرباعيتين والثنيتـين ، والمـيم : يخـرج مما بين الشفتين معا .

وكلاهما : يتحدان معا فى صفات : الجهر ، والتوسط بين الشدة والرخاوة ، والانفتـاح ، والاسـتفال . وينفرد صـوت اللام بصـفة : الانحراف .

٣١ - باب الميم والنون :

ومن أمثلته(٢٥) : « مجرت من الماء ونجرت ، اذا شربت فلم ترو وأخلك العطش » وهذا ابدال بين صوتين متباعدين مخرجا ، متحدين صفة.

فالنون : مما بين رأس اللسان وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين، وبعده - بثلاثة عشر صوتا بمخارجها - يخرج الميم مما بين الشفتين .

---

(٢٣) المخطوطة : ص ٦٩ .

(٢٤) أى : على غير استواء .

(٢٥) السابق : ص ٧١ .

ولكنهما متحدان فى صفات الجهر ، والتوسط بين الشدة والرخاوة والانفتاح والاستفال .

٣٢ - باب الحاء والهاء :

ومن أمثلتـــه(٢٦) : « حقحق وهقهق ، أى ســار سريعــا ، وهو مما يقلب » .

وهذا ابدال بين صوتين متقاربين مخرجا ، متحدين صفة .

فالهاء من أقصى الحلق ، والحاء من وسطه ، وكلاهما يتصف بصفات الاصمات ، والهمس ، والرخاوة ، والانفتاح والاستفال .

٣٣ - باب الياء والجيم (فى النسبة) :

ومن أمثلته(٢٦) : « كوفى وكوفج ، وعلوى وعلوج » .

وهذا ابدال بين صوتين متجانسين ، حيث اتفقا فى المخرج واختلفا فى بعض الصفات ، فكلاهما : صوت شجرى ، لخروجهما من شجر الفم، وهو ما بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى .

وهما يتفقان فى صفات : الجهر ، والاصمات ، والانفتاح .

وينفرد صوت الجيم بصفتى الشدة والقلقلة .

وينفرد صوت الياء بصفات : اللين والرخاوة والاستفال .

٣٤ - باب الكاف والشين :

ومن أمثلته(٢٧) : «تقول : لقيتك يا هذه ولقيتش،وهذا لك ولش»

وهذا ابدال بين صوتين متقاربين مخرجا وصفة .

فالكاف : صوت لهوى ، يخرج مما بين أقصى اللسان بعد مخرج القاف - وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ولا يفصل بينهما الا مخرج الجيم .

---

(٢٦) المخطوطة ص ٧١ .

(٢٧) السابق : ص ٧٢ .

وهما يتحدان فى صفات : الاصمات والهمس والانفتاح والاستفال.

وينفرد صوت الكاف بصفة الشدة ، وصوت الشين بصفتى : التفشى ، والرخاوة .

٣٥ ـ باب التاء والكاف (فى المكنى) :

ومن أمثلته(٢٧) :) ما فعلت ، وما فعلك » .

وهذا ابدال بين صوتين متباعدين مخرجا ، ولكنهما متحدان صفة .

فالكاف ـ كما عرفنا من الفقرة السابقة ـ صوت لهوى ، والتاء : صوت نطعى يخرج مما بين ظهر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين .

ولكنهما يتحدان فى صفات : الشدة ، والاصمات ، والهمس ، والانفتاح ، والاستفال .

وبعد : فقد رأينا الزجاجى ـ فى كتابه : الابدال والمعاقبة والنظائر: يلتزم بمعيار الابدال اللغوى المعتدل .

ورأيناه حريصا على أن تكون هناك علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه ، سواء من ناحية القرب فى المخرج أو فى الصفة أو فى كليهما .

وبذلك يعد ـ الزجاجى ـ مساوقا لعصره ـ ولما بعد عصره ـ فى قضية الابدال اللغوى .

كما يعد كتابه هذا : من أقدم الكتب اللغوية الابدالية التى راعت العلاقة الصوتية فيما ضمته من أبواب ، وفيما امتلأ به نهرها من أمثلة.

والله تعالى أعلى وأعلم ...

جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ
يناير ١٩٨٩م

د. فوزى يوسف عبده الهابط

---

(٢٧) المخطوطة : ص ٧٢ .